مصر وتحديات الواقع الإقليمي والعالمي الجديد

ضياء رشوان
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

لم يعد هناك شك في أن التطورات الإقليمية والدولية المتلاحقة، تكشف حجم التغيرات الراهنة، والمقبلة في النظامين الإقليمي والدولي، بما في ذلك الأسس التي قامت عليها العلاقات بين الشعوب والدولي منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك تراجع احترام قواعد القانون الدولي ومقررات الشرعية الدولية في إرساء السلام والاستقرار وحقوق الشعوب، ومعها تراجع دور المنظمات السياسية الدولية والإقليمية وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة والأجهزة والمنظمات التابعة لها.

هذا الواقع ترافق مع تغيير في طبيعة التحالفات الدولية، وموارد قوة الدول، واختلال توازن القوى العالمي، والإفراط في استخدام القوة والتلويح بها، ومحاولات بعض القوى التدخل في الشئون الداخلية في الدول الأخرى خاصة تلك التي تعاني من اضطرابات أمنية ومشكلات، ومعظمها يقع في منطقتنا العربية وقارتنا الأفريقية.

ولا شك أن القضية الفلسطينية، والمصالح العربية بصفة عامة هي في مقدمة ضحايا هذه التطورات، حيث تم إطلاق العنان لآلة الحرب الإسرائيلية ولقادتها المتطرفين في ارتكاب أسوأ جرائم الحرب دون رادع من قانون دولى أو منظمات عالمية أو تأثير يذكر لكل المجتمع الدولي بكل دوله شرقاً وغرباً.

في الوقت نفسه، فقد كشفت التطورات الأخيرة في العالم العربي أن

الاستجابة العربية الجماعية، وحتى الفردية، ليست في كل الأحوال على مستوى هذه التحديات التي فتحت أبواب الوطن العربي على مصراعيها أمام كافة القوى العالمية والإقليمية غير العربية، الطامعة جميعها في مقدرات العرب وأمنهم وثرواتهم وأراضيهم وقضاياهم، وقد كشفت الظروف والتطورات التي سبقت وأعقبت مؤتمر القمة العربي الرابع والثلاثين في بغداد مدى التباين في مسلك وتعامل العديد من الدول العربية مع القوى الكبرى، والأولويات المتباينة بشكل كبير في تعامل الدول العربية فرادي مع هذه القوى الدولية.

من هذا المنطلق اكتسبت قمة بغداد أهميتها رغم مستوى تمثيل العديد من الدول العربية فيها على غير مستوى القمة إلا أن المؤتمر أعاد التأكيد على الموقف العربي الجماعي إزاء القضايا العربية، ولو على الحد الأدنى من المواقف والمطالب، كما أعاد الاعتبار لمكانة القضية الفلسطينية كقضية العرب المركزية التي يتوقف عليها السلام لكل شعوب هذه المنطقة، مهما حاولت بعض القوى العالمية تغيير ترتيب أولويات المنطقة.

وسط هذا الواقع، برز الموقف المصري الذي أعاد التأكيد على البديهيات الأساسية الضرورية للأمن القومي العربي، وللقضية الفلسطينية، وللمسئولية العربية الجماعية إزاء القضايا العربية.

وجاء تأكيد السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي أمام القمة أن المنطقة العربية تواجه تحديات معقدة وظروفاً غير مسبوقة، تتطلب إرادة عربية موحدة، حفاظاً على أمن أوطاننا، وصوناً لحقوق ومقدرات شعوبنا.

ونبه الرئيس السيسي إلى أن القضية الفلسطينية تمر بمرحلة من أشد مراحلها خطورة وأكثرها دقة، وأن الشعب الفلسطيني يتعرض لجرائم

ممنهجـة وممارسـات وحشـية، مشـيراً إلى أن جهـود مـصر ومسـاعيها في مواجهـة هـذه التطـورات لم تتوقـف عـلى مـدى أكـثر مـن عـام ونصـف العـام، مـن أجـل وقـف العـدوان، وإحبـاط مخطـط تهجـير الشـعب الفلسـطيني مـن أرضـه، وكانـت ومـا زالـت جهـود مـصر في هـذا الشـأن تتـم عـلى اتسـاع العـالم كلـه، العـالم العـربي والإسـلامي، والمجتمـع الـدولي والقـوى الكـبرى والمنظـمات الدوليـة.

وقطـع الرئيـس السـيسي الطريـق عـلى محـاولات الالتفـاف على اسـتحقاقات الشـعب الفلسـطيني مؤكـداً أنـه «حتى لـو نجحت إسرائيـل في إبـرام اتفاقيات تطبيـع مـع جميـع الـدول العربيـة فـإن السـلام الدائـم والعاجـل والشـامل في الـشرق الأوسـط سـوف يظـل بعيـد المنـال، مـا لم تقـم الدولـة الفلسـطينية وفـق قـرارات الشرعيـة الدوليـة»، في الوقـت نفسـه أكـد الرئيـس موقـف مـصر وجهودهـا المتواصلـة تجـاه كافـة القضايـا العربيـة في السـودان وسـوريا ولبنـان وليبيـا واليمـن والصومـال، إضافـة إلى مجـالات العمـل العـربي المشـترك.

إن تذكـير الرئيـس السـيسي للأمـة العربيـة بهـذه المواقـف الأساسـية والمبدئية إنمـا يعـبر عـن جهـد حقيقـي متواصـل تقـوم بـه مـصر بـكل إمكانـات شـعبها مـن أجـل حمايـة أمـن واسـتقرار الشـعوب العربيـة وحقهـا في السـلام العـادل والدائـم في مواجهـة تحديـات ومتطلبـات دوليـة وإقليميـة بالغـة الخطـورة.

لقـد كانـت وسـتظل مـصر الركـن الأسـاسي في حمايـة مصالـح هـذه الأمـة التـي تكالبـت عليهـا الخطـوب مـن الداخـل والخـارج.